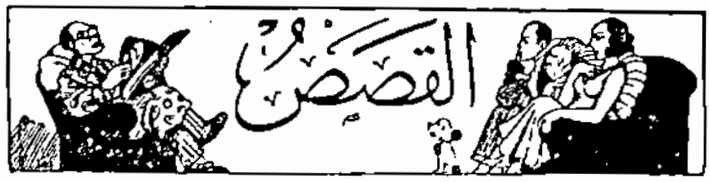

قصة ألبانية :

المهـــد الذهبي

[مهداة إلى الأستاذ الكبير كامل كيلاني]

نقلها الأديبان :

وهبي اسماعيل حقي وابراهيم خير الله

— ٢ —

... يلعب الحظ أدواراً عجيبة في حياة الإنسان ؛ فبينما هو يستيقظ من نومه مبكراً ليباشر كعادته عمله في غير رغبة ولا اشتياق ، وهو لا يفكر إلا أن يومه سيمضي كأمسه في عمل آلي لا يشعر معه بلذة روحية ولا بقيمة ذاتية ، وإذا بيد القدر تمتد إلى مجرى حياته ، فتحولها إلى ناحية مضادة كلها نعيم وكلها سرور ... إن نقطة التحول في حياتي بدأت منذ زارني القروي اليوم ، فكأني به قد نزل من السماء ليهيئ لي حياة أهنأ وأسعد ، حياة تلمع بأشعة الذهب الذي يمكن تبديله بأرقام ليست لها نهاية من النقود ...

حقاً ، إن بيرام نقطة الفصل في حياتي بين منطقتين : منطقة الماضي الصامت العابس ، ومنطقة المستقبل الزاهر الباسم ، وعلى ذلك فإنني سأمتع النفس بكل أنواع المتع ما دمت أمتلك نقوداً بهذه الكثرة ... سأجوب كل البقاع ، وأشتري يختاً كبيراً أستخدمه في رحلاتي ... إن والدي سيدهش عند ما يطلع على الموضوع . ترى هل في الكهف حجر لم يرها بيرام ؟ وكم يكون عدد الكراسي ؟ وهل كلها ذهب ؟ إن العالم كله ستعتريه موجة من الاستغراب وسيقول : من أين لهذا الشيطان بكل هذا المال ؟ لعل بيرام لا يتحدث إلى أحد في هذا الشأن . كان يجب أن أكم فاه بمبلغ كبير ، عشرة جنيهات على الأقل ، ليكون ذلك تشجيعاً له على التكوت ، وإغراء لوالدته على تركه حراً ... ترى من هذا الذي هو معه على موعد ؟ كم سينال الاستغراب من صديقي الوفي الأديب « محمود » ؟ سأهدي إليه مكتبة قيمة تقديراً لإخلاصه . سأجهز له مكتباً فخماً . لا أدري إن كان من المستحسن أن أقص عليه القصة ، أم أترك الظروف تتولى عني ذلك ؟ وإن كنت على يقين أنه يستطيع أن يرشدني إلى ما يحسن عمله ، كما يستطيع أن يعرف عهود تلك الآثار وقيمتها التاريخية ؛ فهو أكثر مني ثقافة ، وأطول تجربة ، وأعظم خبرة ، وهو فوق ذلك مدرس نابه ، وأديب ذائع الصيت ؛ ولكن ... كم يكفيه من النقود للقيام بهذه المهمة ؟ إنه يكاد يجن من فرط السرور عند ما يقف على قيمة الكنوز المادية والتاريخية ! على كل حال سأذهب إليه الساعة لأسرد له حكايتي ، أنا في مسيس الحاجة إلى مخلص يأخذ بيدي إلى الطريق السوي ، فهذا عمل شاق ومن غير المعقول أن أقوم به وحدي !

هذه هي بعض الخواطر التي كانت تمر بمخيلة فريد وهو يقطع الحجرة بعد أن غادره القروي على أن يعود إليه في المساء ، ولم يقطع عليه سلسلة هذه الأفكار إلا دخول الكاتب يسأله عن رسائل اليوم ، وليستأذنه في الانصراف !

حرك فريد يديه حركة عصبية ، ولعن في نفسه المراسلات والمكاتبات ، ثم أذن للكاتب أن ينصرف . ودعا الخادم وأمره أن يخبر الطاهي أن بعض الأصدقاء سيتناولون العشاء معه هنا في الساعة الخامسة ، وأنه يود أن يكون الطعام فخماً . وتناول عصاه وخرج ميمماً صوب « الليسيه » ليقابل صديقه « محموداً » ، فقد وطد العزم على أن يستعين بنصائحه ويستفيد من إرشاداته . ولقد كانت السماء ملبدة بالغيوم ، والمطر لا يكف عن الانهمار ، والطريق بما تجمع فيه من ماء ووحل يتعب المارة ويلوث ملابسهم ، ولكن فريداً كان عن كل ذلك في شغل ، فهو لا يبالي ، بل لا يشعر : أفي جفاف يمشي أم في وحل . فقد طرأت عليه فكرة سيطرت على كل حواسه وصرفته عن كل ما يحيط به ، هذه الفكرة كانت في مبدئها فرضاً ، ثم لم تلبث أن صارت في قوة الحقيقة الواقعة عنده ، وهي لا يبعد أن تكون الأزيار مملوءة بنقود ذهبية قديمة ، ثم غطيت بهذا الغبار حتى لا تمتد إليها يد عابثة ... أربعة عشر زيراً ... يا لها من ثروة طائلة ... سأهرب الأشياء

ذات القيمة فى أسرع وقت إلى الخارج ، وسأضع النقود فى بنوك سويسرا وانجلترا ، لأنها بنوك مضمونة ... وإلى هنا كان قد وصل إلى المدرسة وعلم أنه قد بقى عشر دقائق على خروج التلاميذ ، فرأى أن ينتظر فى الحديقة بعيداً عن الناس ، وليخلو إلى نفسه ويواصل حديثها . وما إن أخذ موضعه منها حتى تساءل: ترى ما هى اللغة التى نقشت على اللوحات ؟ أهى اللاتينية أم اليونانية القديمة ؟ كم من المكتشفات ستحتل الميدان فى الأيام القليلة المقبلة ؟ سأترك فخر الاكتشاف لزميلى وصديقى « محمود » إنى واثق أنه سيعجب كثيراً حينما أشرح له مقابلتى لبيرام ... وفى هذه اللحظة دوى فى الفضاء صوت المؤذن منبعثاً من مئذنة مسجد « فوش كلاس » يملأ الأرجاء : « الله أكبر ... الله أكبر ! » دعوة يلبيها المؤمنون الصادقون الذين امتلأت قلوبهم من خشية الله ، وترطبت ألسنتهم بذكر الله ... فيسرعون لصلاة الظهر شكراً لله على نعمائه ، وابتهالا إليه أن يوفقهم لرضائه ... فى نفس الوقت دقت أجراس الكنائس القريبة تستحث أتباع المسيح عليه السلام أن يبادروا إليها للتبرك ! وفى هذه اللحظة أيضاً بدأ الطلبة يخرجون من المدرسة زرافات ووحداناً مسرعين إلى بيوتهم لتناول الغداء ، وكلهم يتأبط كتبه وأدواته ؛ فرأى فريد صديقه محموداً خارجاً مع زميل له ، فناداه ، فاستأذن صديقه ولحق بفريد ... وبعد أن تصافحا قال له: لماذا أنت هنا يا فريد ولست فى المتجر؟

— جئت آخذك لنتناول الغداء معاً ، ولأقفك على موضوع هام

— ما ذا ؟ هل تمت خطوبتك ؟

— لا ! ولكن لدى أخبار فى نهاية الغرابة . فتعال معى إلى المنزل

— لا أستطيع ؛ فإنى سأعود بعد الظهر لإتمام دروسى .

— إنك عندما تعرف الخبر ستنسى الدروس ولن تفكر فيها ، بل ستلغيها ولا تذهب إليها .

— ما دمت تقول ذلك فسأجىء معك وأفوض أمرى إلى الله . ثم أخذا طريقهما إلى منزل فريد الذى بدأ يقول لصديقه : لا شك يا محمود أننا سندهش « أشقودراه » بل العالم بأسره .

— لست أفهم هذه الألغاز يا عزيزى فأرجو أن تفصح .

— لقد عثرت على كنز ! فنظر إليه محمود فى استغراب وقال : بربك قل الصدق ما ذا بك اليوم ؟ فقد تغير فيك كل شىء .

أؤكد لك أنى وجدت كنزاً .

— بالله لا تهزأ بى ، أنت الذى وجدته ؟

— لا ! ولكن قروبا جاءنى فى صباح اليوم وأفضى إلى أنه عثر عليه مصادفة ، وشرح له فريد ما كان من بيرام فتعجب محمود وقال : وهل وقع كلام القروى منك موقع الصدق ؟

— ولم لا ؟ ومن أين لقروى مثله خيال يحسن سبك مثل هذا الموضوع بمثل هذه المهارة ؟ إن من يفعل ذلك لا بد وأن يكون قد قرأ على أقل تقدير عجائب الكشف عن آثار « توت عنخ آمون » ذلك الملك المصرى القديم . ولكن أنى لبيرام وهو الأمى الذى لا يقرأ أن يطلع على ذلك ويخترع مثله ؟ وإنك ستسمع منه بأذنيك وستحكم كما حكمت أنا — إستنادا على طيبته — بصدق قوله .

حرك محمود رأسه دهشة واستغرابا وكانا قد وصلا إلى البيت واستدارا حول المائدة ، وأخذ كل منهما يتكلم بهواه ويدلل لرأيه ، قال فريد : إن قيمة الكنز المادية — وإن كانت عظيمة — إلا أنها ليست بشىء يذكر بجانب قيمته التاريخية .

— لا زلت أشك فى أن المستحيل أن تكون هذه حقيقة ؛ إن الرجل قد رأى كل هذا فى المنام .

— فى بعض اللحظات كان يعترينى مثل هذا الشك ، ولكن نظرات القروى ، وملامح وجهه ، وسذاجة حديثه ، جعلنى أعتقد صدق خبره ، وستجعلك كل هذه الأشياء تعتقد صدقه تماما كما اعتقدت.

— كل شىء ممكن فى هذه الدنيا !

— ألا تكون هذه الآثار يا محمود من زمن أجدادنا « الإليريين » ؟

— لا أعتقد ، فإن التاريخ لم يحدث عنهم أنهم برعوا فى النقش على الأحجار وعمل التماثيل ، وإن كان غير بعيد أن يكونوا قد أخذوا هذه الآثار وهذه التماثيل من معابد يونانية ؛ فقد ذكر التاريخ أنهم أغاروا على شواطىء بحر اليونان كثيراً . وقد يكون الملك « غنس » قد خبأ هذه الكنوز قبل معركته الأخيرة مع الرومان التى أسر فيها .

— لو كان هذا الفرض صحيحاً لكان كشفاً عظيما جداً . ونسى محمود أنه ياكل من فرط سروره بهذا الفرض ، بل نسى أنه فرض وتخيله حقيقة ناصعة ، وأنه أول من اهتدى إليها فذاع صيته وخلد اسمه فى صفحة كبار المكتشفين فقد أزاح الستار عن فترة من تاريخ ألبانيا كانت فى زوايا الجهل ، فانتصب واقفاً والشوكة لا زالت فى يده وأخذ يخطو فى الحجرة إلى نهايتها ثم يعود ببطء

ثم كف عن المشى فجأة وقال بصوت ضعيف : لعل الحروف المنقوشة فى الرخام تلقى لنا ضوءاً على اللغة الألبانية ، ولعلنا نجد لهذه المسألة أدلة « إليرية » وإن كان الشك لا زال يساورنى . وكنا نستطيع أن نحكم على أفكار « هاهن »[1] الذى يقول : إن أصل اللغة لهجة « البلازغ » وكذلك رأى « ماير »[2] الذى يقول : إن أصلها من لهجة « إليرية » ... مستحيل أن يكون هذا حقيقة ، وإلا كانت سعادة لا تعدلها فى الدنيا سعادة ، وكان فتحاً جديداً فى تاريخنا القوى العظيم .

لم يفهم فريد من كلام صديقه شيئاً فقد كان مشغولا بتقدير الأرقام الكثيرة التى يمكن تبديل الكنوز بها من النقود وكيفية إنفاقها . لكنه نادى محموداً وقال له : إن شهرتى ـ كصياد ـ ذائعة فى « أشقودراه » فإذا حملت بندقيتى ورافقنى كلبى واتجهت خارج المدينة نحو الغابة ، فإن الأنظار لا تلتفت إلىّ ، وبذلك أستطيع أن أرى بنفسى محتويات الكهف على أن أكون مع بيرام على موعد ، ولكن ! بعد أن أطلع على الأشياء التى سيأتينى بها الليلة

ترك محمود دروسه بعد الظهر وبقى مع فريد فى حجرة الطعام يشربان القهوة بعد القهوة ، ويدخنان « السيجارة » بعد « السيجارة » ينتظران بصبر قليل وشوق كثير عودة بيرام ، وكانا كلما سمعا طرقاً بالباب قفزا من مقعديهما يستبينان الطارق ، وقبيل الساعة الخامسة وصل بيرام وبعد أن تصافحوا قال فريد لبيرام مشيراً إلى محمود :

— الأستاذ محمود ، صديق مخلص ، ومدرس نابه ، يحمل أرفع الشهادات ، ويكتب فى أرقى الصحف والمجلات . وإننا فى أشد الاحتياج إليه ليقفنا على قيمة الكنوز التاريخية . فقال القروى فى غير استغراب ، تشرفنا يا سيد محمود ؛ ثم التفت إلى فريد وقال : أنت أعرف بما يفيدنا وبمن يفيدنا فى هذه المهمة ، وقد اعتمدت بعد الله عليك فتصرف أنت حسبما تريد . فقال فريد : ولكن لينمحى كل أثر فى نفس محمود يود أن يسمع منك وصفاً مجملا لكيفية عثورك على الكهف من الوقت الذى وقعت فيه فأسك على البلاط لأول مرة ، فشرع القروى يقص عليهما فى هدوء ما سبق أن تحدث به إلى فريد فى الصباح . وقد حاول محمود أن يتأكد إن كان صادقاً حقاً ، فأمطره وابلا من الأسئلة التفصيلية كان يجيب بيرام عليها بمهارة حملت محموداً على الاعتقاد بأن ما يقوله حق لا مرية فيه .

كانت المائدة قد أعدت فأخذوا يتناولون الطعام ونظر فريد ومحمود لم يرفعا عن بيرام الذى كان يأكل فى غير نهم ولا شره وهو يجيب على ما يوجه إليه فى هدوء ورزانة . وبعد أن انتهوا من طعامهم شربوا جميعاً القهوة واستأذن بيرام فى الانصراف ، وقبل أن يأذنا له أكدا عليه ألا يتأخر عن المجىء بالعينات الليلة مهما تكبد من مشقة . وذكره فريد بما يلزم الإتيان به فطمأنهما بيرام بقوله : لكما ما تريدان . والتفت إلى فريد وقال : سآتى بما أمرت به ياسيدى . ثم مد يده مصافحا ، فاستوقفه فريد وأسر إليه : هل أنت فى حاجة إلى نقود أخرى ؟ فقال بيرام بصوت مسموع — لا يا سيدى لا يلزمنى شىء ! ما ذا أفعل بها ؟ ثم خرج .

ولما عاد فريد إلى مجلسه نظر إلى محمود يستطلع رأيه فى إجابات القروى وكل حديثه ، وسأله عن الأثر الذى تركته مقابلته له . فقال محمود : ألا تعتقد معى أننا لو أدمنا التفكير فى هذه المسألة لذهبت عقولنا من فرط السرور ؟ وأى إنسان يعتوره أدنى شك فى كلام هذا الرجل الساذج ؟

وبينما هما منهمكان فى حديثهما هذا وإذا بباب الحجرة يفتح ويدخل السيد عفت والد فريد ويحييهما تحية المساء . ثم صافح صديق ابنه والتفت إلى فريد وقال : لقد انتظرتك فى المتجر فلم لم تجىء ؟ فقال فريد فى سرور :

— شغلنى عن المجىء أمر مهم سيدر علينا مالا كبيرا ، فرفع الرجل عينيه وتأمل ابنه مليا فى دهشة واستغراب كأنه يستوضحه فقال له فريد : سأقص عليك حكاية غريبة . فأخذ الرجل يجيل طرفه فى وجهى الشابين اللذين كانت تلمع عيناهما سرورا ؛ فلم يشأ فريد أن يطيل حيرته فأخبره بمجىء القروى فى الصباح وما كان منه ، وأنه كان معهما منذ قليل ، وقد فارقهما على أن يعود حاملا عينة مما وجد ...

تعجب السيد عفت مما سمع ، ولم يصدق بادىء ذى بدء لكنه أذعن أخيرا عندما أكد له محمود الخبر وأنه ناقش بيرام كثيرا ، ووجه إليه أسئلة عديدة وأن بيرام كان يجيب دون تردد ولا تلعثم ، ثم هو فوق ذلك أكبر من أن تحوم حوله الشبهات ، فهو سليم القلب ، طيب النفس ، نقى الضمير ... ومع إذعان السيد عفت لم يبد عليه أن هذا الخبر سره كثيرا كما فعل الشابان فقد جلسوا معا وقتا غير قصير تدور أحاديثهم حول الموضوع ، فلما لمس الشابان أنه لا يشاركهما الفرح استأذناه فى الخروج .

(١ ، ٢) هاهن وماير . عالمان ألمانيان قاما برحلات علمية كثيرة إلى ألبانيا ولهما مؤلفات قيمة عن أصل اللغة الألبانية .

بادر باقتناء نسختك من كتاب :

دفاع عن البلاغة

للأستاذ

احمد حسن الزيات

وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ١٥ قرشاً

شعاب قلب

دروس نفسانية تحليلية

صور من صميم الحياة

تحاليل قصصية على نفس القارئ

عرض مشوق مرغب

بقلم

حبيب الزحلاوي

يطلب من إدارة الرسالة الثمن ١٥ عدا البريد

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

نشر الاعلانات فى الرسائل البرقية

إن الإعلان فى الرسائل البرقية المتداولة بين سكان القطر المصرى بأجمعه هو دعاية هامة واسعة النطاق قد هيأتها المصلحة للمعلن الذى يرمى إلى رواج أعماله والتاجر الذى يبغى التوسع فى تجارته وقد راعت المصلحة أن تكون أجور النشر فى هذه الرسائل زهيدة وفى متناول الجمهور فجعلت كل مائة ألف إعلان بثلاثين جنيها مصرياً وكل ربع مليون بسبعين جنيها وكل نصف مليون بمائة وعشرين جنيها فضلا عن تخفيض معين فى المائة إذا بلغ المراد نشره مليوناً أو أكثر من الإعلانات .

إنتهزوا هذه الفرصة ولا يفوتكم أن تحجزوا من الآن القدر اللازم لكم من هذه الرسائل

ولزيادة الإيضاح إتصلوا بقسم النشر والإعلانات

بالإدارة العامة — بمحطة مصر